

جان فونتان و مجلة "إيبلا"¹

لقد اضطلع جان فونتان بمجلة "إيبلا" بعد أربعين سنة من تأسيسها.

ومجلة "إيبلا" هي فكرة برزت سنة 1937 لدى أندري ديمارسمان (1901-1993)² وتواصلت إلى يومنا هذا، وقد أصدرت خلال شهر جوان 2021 عددا 227 الخاص بأزمة كوفيد 19.

وهي أقدم مجلة تونسية تواصل الصدور بانتظام حتى اليوم بفضل المقدرة العلمية للأباء البيض (شهرها بالمبشرين بإفريقيا) وقد أشركوا معهم المثقفين التونسيين المنفتحين والقابلين لتبادل المعارف حول قضايا المجتمع التونسي.

عديدة هي المداخل التي تسهّل عملية البحث : لغات المتداولة خلال الحياة اليومية والثقافية (اللغة العربية الفصحى والدّارجة، الفرنسية، العربية "الوسيطه")، أسطورة، حكاية، أمثال الشعبية، مفردات سياسية، صحف ومجلات، آداب (شعر ونثر)، تعليم، عائلة، شباب.

قدم جان فنتان إلى تونس سنة 1956 وانخرط في مجلة "إيبلا" كمؤلف مثل نظرائه، من خلال عمل دؤوب حول المكتبة، وذلك بفهرسة الكتب والدوريات، المتعلقة أساسا بالبلاد التونسية والعالم العربي والاسلامي. إن تبادل النشريات بكثافة وبعده لغات، كان نتيجة لعمليات الإيداع والمجهود التحليلي الذي سلكته المجلة منذ عدة سنوات مع مراكز البحث والمكتبات والمجلات الثقافية والعلمية بالمغرب والمشرق وأوروبا وغيرها.

وخلف جان قبريال مانينان (1910-1977) سنة 1977 في رئاسة تحرير المجلة. وهو متحصل على شهادة دكتوراه موضوعها : " توفيق الحكيم"، وأصدر مؤلفه الأول في التعريف بالأدب التونسي بين 1956-1976³.

وكان شغله الشاغل جمع إنتاج المؤلفات والمؤلفين في تونس، دون غضّ النظر عما يصدر بالخارج (ليبييا، مصر، سوريا، وغيرها). هذا التحليل المتأني والدؤوب أنتج رؤية تحليليّة وإجماليّة عن النصوص التي قلّ ما حظيت بالاهتمام في تونس والعالم العربي، ومن خلال الزمن الطويل أو من حيث البعد المقارنيّ.

وقد أثمرت عناية جان فنتان المكثفة بالإنتاج الأدبي التونسي حصيلة معرفيّة يمكن استغلالها اليوم في اتجاه يربط الدينامية المحلية بالحركات الأدبية السائدة.

أما الإضافة الثانية لجان فنتان، انطلاقا من مجلة إيبلا، فتكمن في الفهارس وتقديم الكتب التي يقع نشرها في كل عدد⁴ ومن خلال هذا العمل النقدي للمجلة التي أصبحت تركز اهتمامها على البلاد التونسية بداية من 1968، بدأ يتابع حركات المجلات (1968-1972). وتم تنظيم الجانب البيبلوغرافي التونسي بداية من 1969 وتمثل الحصيلة مرجعا وثائقيا ثمينًا بالنسبة للبحوث في الأدب والعلوم الإنسانية والاجتماعية.

¹ هذا النص هو ترجمة عربية للنص الذي قدّمته المؤلفة التي تمت خلال تأبين جان فنتان (2 ديسمبر 1936 - غرة ماي 2021) بكاتدرائية

تونس.

² إن المقولة "إيبلا" هي فكرة منتقلة هي من أندري ديمارسمان.

³ عشرون سنة من الأدب التونسي، 1976-1956. تونس، الدار التونسية للنشر، 1977، 160 ص.

⁴ لنذكر من بينهم الصادق بويكر؛ سامي برقايوي؛ عماد مليتي؛ فوزي بدوي؛ مريم عاشور...

وقد ألف جان فنتان في هذا الإطار الوثائقي أكثر من 4000 جذاذة بيبليوغرافية أهداها إلى المكتبة الوطنية التونسية. إن هذه الحركة تبرز مدى تشبّث جون فنتان بترك أثره في مؤسسة محلية و عمومية ودائمة. هذا الإرث من شأنه أن يؤكد طريقة اتباعها جان فنتان طيلة مدة اهتمامه بالمجلة؛ إذ نلاحظ شيئا فشيئا تونسنة للجنة تحرير المجلة من 1977 إلى 2007 خلال هذه الفترة. واتصل بأعضاء اللجنة الذين التحقوا بالنواة (الأولى) للنشر حيث أن نسبة الأباء البيض انخفضت على مرّ السنين. ورغم تحفظ وزارة الداخلية على تعويضه كرئيس للجنة التحرير، فإن جان فنتان صاحب وساند المسؤولين على تسيير المجلة.

ولئن ابتعد جون بعض الشيء عن العناية المباشرة بالمجلة بداية من سنة 2000، فإنّه لم يتوقف عن كتابة الفهارس التحليلية، إذ كان حريصا على متابعة النص وإصلاحه قبل إيداعه بالمطبعة.

لقد كتب جان فنتان في آخر إحصائه لمجلة " إيبلا" في شهر فيفري 2021، محاولة أدبية "لي انسلي"، لأنطوان هاتزين برجي (رهف نوف، 2020، 155ص.).

فعبّر عن رغبته في أن يظلّ "عقلانيًا" في مجلّة "جاذة" لكنّه أدرج لمحّة بيوغرافية تبين أنه كان بجزيرة "قروا" (بفرنسا) سنة 1954 في الفترة التي كان فيها بورقبة منقيا في نفس الجزيرة.

لقد أكّد جان فنتان في تقديم الأعداد الخاصة بأعياد ميلاد المجلة وهي من تقديمه وتنسيقه ("إيبلا": خمسون سنة؛ البلاد التونسية تبحث عن تاريخها، عدد 187، 1987؛ الذكرى الستون، عدد 179، 1997)⁵، على مساهمة "إيبلا" في المحافظة على التراث الثقافي التونسي. وإنّ مجلّة إيبلا لمدينة له بالكثير من متانتها وسمعتها وجودتها من حيث أنّها أداة مرجعية، وهي مدينة له أيضا بطول عمرها.

قمر بندانة

تونس، في 30 جوان 2021.

⁵ يتم أعمال أندري لوي (1973)، فهارس تحليلية لمجلة "إيبلا" من 1937 إلى 1996، إيبلا، 1997، 256 ص.